في حديث شامل «لصوت الجامعة» د.جابر عبدالحميد يؤكد:

ندقق في اختيار مدخلات نظامنا التعليمي لنضمن جودة مخرجاته

المشاركة في صنع السياسة التعليمية لمؤسسة كبرى كالجامعة عملية تتطلب من القائمين بها الماما كاملا بأهداف تلك المؤسسة، ورؤية واضحة لكيفية وضع البرامج التنفيذية التي تحقق تلك الاهداف، وقدرة على تسيير آليات متابعة ومراقبة عملية تنفيذ البرامج وتقويمها.. والدكتور جابر عبدالحميد وكيل الجامعة رجل لديه إلمام كامل بأهداف الجامعة، ورؤية ثاقبة لسبل تحقيق هذه الاهداف.. لهذا كان لابد «لصوت الجامعة» ان تحاوره فيما يردده البعض بشأن جدوى نظام الساعات المكتسبة الذي اخذت به الجامعة منذ انشائها عام ١٩٧٣.. فقد شجع تحول بعض جامعات المنطقة عن هذا النظام.. شجع البعض على انتقاده بل التشكيك في مدى ملاءمته لنوعية طلابنا واساتذتنا..

نطلب من أساتذتنا الاشتغال بالعلم تعليما وبحثا وتطبيقا

الخريج الجيد هو الذي تعلم كيف يتعلم

أ.د. جابر عبد الحميد

ومع كل اعتزازنا بما حققه خريجينا الا ان الرغبة في التطوير الذي ينبغي ان تكون سمة الجامعة وناموس حياتها.. هذه الرغبة في التطوير تقتضي وقفة امينة مع الذات لتقويم مستوى الخريج مع تخريج كل دفعة.. فهذه الوقفة التقويمية هي نوع من مراجعة الذات.. ومراجعة الذات هي احدى اللحظات الرئيسية الضرورية لاستمرار حركة قطار التطور السريع.

بادرناه بالسؤال.. سعادة وكيل الجامعة.. في منتصف الشهر الماضي وفي برنامج «وطني الحبيب صباح الخير».. عقد عميدا البرنامج مقارنة بين نظام الساعات المكتسبة في الولايات المتحدة وبين ما يتم تطبيقه عندنا.. وشككا في صلاحية هذا النظام لنا.. وفقدا باب الحوار حوله، بل فتحا النار عليه..

ونحن نعرف انكم باعتباركم من صانعي السياسة التعليمية بالجامعة تعلمون من المتحمسين لنظام الساعات المكتسبة، فما هي مميزات هذا النظام؟ وهو بعد نظاما مناسبا لطبيعة طلابنا واساتذتنا بعد مرور عشرين عاما على استخدام هذا النظام منذ انشاء الجامعة عام ١٩٧٣؟

اجاب الدكتور جابر: نظام الساعات المكتسبة هو نظام يعتمد على اسس هامة منها مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب ويتاح فيه بسمح لكل طالب ان يتعلم ويتقدم في التعلم طبقا لقدراته ودرجة مثابرته.. فالطالب المتوسط يسمح له هذا النظام ان يحمل عددا دراسيا يتناسب مع قدراته المتوسطة كأن يأخذ اثنتي عشرة ساعة مثلا والطالب الممتاز ان يحمل عددا تعليميا يتناسب مع مستواه كذلك كأن يأخذ ثماني عشرة ساعة مثلا.. اما النظام القديم.. نظام العام الدراسي الكامل فهو ثابت او ان شئت قل انه غير مرن فأنا رسب الطالب في مقرر او مقررين بعيد العام كله وكل الطلاب يحفظون نفس العبء الدراسي كما ان نظام الساعات المكتسبة يسمح للطالب ان يختار استاذه، ومثل هذا الاختيار لا وجود له في النظام القديم.. الاساس الثاني هو ان تعدد الاختيارات يجعل حجم الطلاب الذين يدرسون المقرر الدراسي معا بالطبيعة محدودا لانه ليس كما هو الحال في النظام القديم لايدرس كل طلاب السنة نفس المقرر في نفس الوقت وعلى ان نضاعف حجوث ذلك يتم تقسيم هؤلاء الطلاب الى مجموعات وهو مايمكن الاستاذ من التفاعل مع طلابه ويزيده من قدرته على متابعة تطورهم الدراسي. ونظام الساعات المكتسبة يمتاز ايضا بانه يسمح بنظام للتقويم افضل كثيرا من نظام التقويم في النظام التقليدي ذي العام الدراسي الكامل.. فالتقويم في نظام الساعات المكتسبة هو عملية تعليمية.. فهو ليس مجرد تقييم لمستوى الطالب لتحديد امكانية نجاحه من رسوبه فقط وانما هو اسلوب من اساليب التنمية الدراسية ومتابعة الطلاب بشكل دائم مما يمكن الاستاذ من الحكم الموضوعي على مستواهم خلال الفصل الدراسي لا اثناء امتحان نهاية العام كما هو الحال في النظام التقليدي. اضافة الى هذا وذاك فان نظام الساعات المكتسبة يمكن الطالب المتميز من انهاء دراسته والحصول على الشهادة في وقت اقل من النظام التقليدي الذي يتطلب من الجميع عاديين ومتميزين اكمال عدد معين من السنوات غالبا ماتكون اربع او خمس سنوات في مرحلة البكالوريوس.. فنظام الساعات المكتسبة يسمح للطالب المتفوق ان يحمل عبئا دراسيا كبيرا يتناسب مع قدراته ويغني اكبر عدد من الساعات في اقل وقت ممكن.. ولهذا فيمكن للطالب المتميز ان ينهي دراسته في ثلاث سنوات او ثلاث سنوات ونصف اذا كان ماياخذه من اعباء تدريسية كبيراوان ثابر على اكتساب المزيد من الساعات في الفصول الصيفية التي يسمح بها هذا النظام. والاساس الثالث لهذا النظام هو اتاحة قدر كبير من الحرية الاكاديمية للطالب.. الحرية في تنظيم وقته.. ففي كثير من الجامعات في البلدان المتقدمة ياخذ الطالب نصف جدول ويعمل.. ويتجه في الدراسة، والعمل في نفس الوقت.. ولهذا التوجه ميزة اضافية هي ان الطالب الجاد يمكنه بسهولة ان يربط بين دراسته ومجال عمله ويستفيد من هذا الربط في كل من دراسته وعمله.. الان النظام مرن، لكنه يحتاج الى شيء من التنشيط.. ويمكن ان يكون هذا هو السبب في هجوم البعض عليه.. هو نظام يحتاج الى نفخ من جانب الطالب.. فالطالب في هذا النظام عليه ان يتعلم الاعتماد على نفسه.. عليه ان يفهم النظام.. عليه ان يختار لنفسه.. عليه ان يتخذ قراراته بنفسه مع مساعدة من المرشد الاكاديمي.. اما في النظام التقليدي فلايوجد اي من هذه المسئوليات.. ولا اي من هذه الحرية.. الطلاب متلقون سلبيون للمعلومات.. وكل شيء جاهز لهم.. الجداول جاهزة وجامدة لا اختيار له فيها.. الاستاذ محدد سلفا لا خيار للطالب معه.. ولاينبغي ان تقلل الاهمية التربوية لعملية الاختيار التي يتيحها نظام الساعات المكتسبة.. البعض يهاجم هذا النظام على اساس انه معقد اقتصاديا.. لكن حساب التكلفة في التعليم مسالة معقدة.. ذلك ان العائد الاقتصادي للتعليم ليس عائدا مباشرا او سريعا لهذا النظام مثلا مع تكلفته المرتفعة نسبيا يهتم في تحقيق ذات الطالب.. يسمح له بالتفوق.. يسمح له بتنمية مواهبه وقدراته يسمح له بالمشاركة في العملية التعليمية وكل تلك ميزات توازي التكلفة فالعائد الاقتصادي افضل .. في هذا النظام تتيح الاختيارات الكثيرة للطالب ان يمضي وان يزيد وان يبرمج وقته ويجدو له ويوزع هذا الوقت بالشكل الذي يتناسب مع قدراته وظروفه.. صحيح هذا النظام يعمل عندنا على المرشدين الاكاديميين.. الا انه يحظى باهمية اكثر من النظام التقليدي واعتقد انه افضل النظم لجامعة قطر وينبغي التمسك به وتاصيله.. وقبل ان يستطرد الدكتور جابر في سرد ميزات هذا النظام في جامعة قطر بالذات سالناه:

منذ تخريج الدفعة الاولى عام ١٩٧٧ والجامعة تأخذ بنظام الساعات المكتسبة.. فهل يمكنكم ان تعطوا قارئ «صوت الجامعة» تقييما لمستوى خريجنا مقارنة بخريجي الجامعات العربية الاخرى التي تطبق نظام السنة الدراسية الكاملة.. اي النظام التقليدي؟

– «اولا» انه اذا كانت المدخلات لاي عمل جيدة فان مخرجاته بالضرورة جيدة وجامعة قطر ومنذ نشأتها عام ٧٣م وهي شديدة الاهتمام بالمدخلات فاعضاء هيئة التدريس يتم اختيارهم، سواء كانوا قطريين او غير قطريين، يتم اختيارهم بدقة من خلال عمليات انتقاء وتصفيات عديدة من حيث الخلق ومن حيث التدين والعلم والشخصية والتحصيل العلمي والتدريس والخ..

والخطوات التي تتبعها جامعة قطر لاستقدام اعضاء هيئة التدريس قليلة جدا وهي بكثرتها ودقتها وصرامتها خير ضمان لان يتواجد في الجامعة استاذ جيد ومتفوق واتفاد القول عملاق.

ايضا نحن نهتم بالمواد والموارد التعليمية من مصادر التعليم سواء كانت كتبا او مجلات علمية او مكتبة ومواد تعليمية اخرى مثل الافلام التعليمية والشرائح وهكذا.. الخ

اذن نحن نحسن اختيار المواد التعليمية والمصادر وندقق في ذلك.. كما ان مستوى المتحققين بالجامعة قد تحسن ففي الدفعة كما نقبل الطالب الذي يعدله الى ٥٠٪ و٥٥٪ اما الان لايقبل الا الطالب الذي يصل مجموعة الى ٦٠٪ وفي المستقبل قد نقبل بمعدل اعلى.

البقية ص ٥

في حديث شامل (بقية المنشور ص ٤)

صحيح ان مستوى الثانوية العامة ليس المؤشر الوحيد بل هو احد المؤشرات انما هذا يدل على اننا نريد ان نتاكد اذا كان الطالب لديه القدرة على الاستمرار قبل ان نقبله واذا كان مبنى الجامعة جديدا واذا كنا نحرص على ايجاد مناخ جامعي مناسب اذا كانت كل هذه المدخلات جيدة، فاننا يمكن القول ان جامعة قطر بخير وانها تطور نفسها دائما وقد تم تطوير البرامج التعليمية وبمقارنة مالدينا بما يقدم في الجامعات الاخرى وبمقارنة مالدينا من مستوى علمي بمستوى العلم الحاضر والمعرفة الحاضرة وبمقارنة ما نقدمه بمتطلبات واحتياجات المجتمع في هذا التخصص من معرفة ومهارات عملية. واذا كانت كل تلك المدخلات جيدة فلا شك ان الخريج وهو المخرج الاساسي لابد بالضرورة ان يكون جيدا. فضلا عن هذا وذلك فان لدينا عدة دراسات عن مستوى خريجينا وبناء على هذه الدراسات نحدد كيفية ضبط الجودة ونتاكد من ان هذا الخريج استوفى شروط التخرج الاساسية وانه في مستوى يسمح له بالمنافسة في اي سوق للدراسة او العمل.

ومع ذلك سعادة الوكيل نجد ان البعض يرى ان هناك تدنيا تدريجيا لمستوى خريجي الجامعة بشكل عام في الوطن العربي بما في ذلك جامعتنا.. ويرى هذا البعض ان الجامعة بنظمها المختلفة – لا الطالب – هي المسئولة عن هذا التدني: فما هو ردكم على هذا الاتهام؟!

يبادر الدكتور جابر بالاجابة: هذا اتهام لا دليل عليه، واذا كان هناك من يقول به فعليه ان يقدم لنا الدليل على ان هناك تدنيا انما هو قد يكون من العوامل التي ادت الى هذا التصور الخاطيء هو مقارنة مجموعات غير متكافئة.. كيف؟ يعني فعلا عندما اقول ان الجيل الماضي.. كان في تكوينه العلمي افضل من جيلنا او ان طلاب الخمسينات او الستينات او السبعينات كانوا افضل من طلاب التسعينات فهذه قضايا يصعب جدا الحكم فيها واقامة الدليل عليها صعب فنحن هنا نقارن بين التفاح والبرتقال كما يقولون.. نقارن بين اناس من عينات مختلفة تماما..

○ دعنا اذن من مثل تلك الدعاوى او الادعاءات الخاصة بمستوى الخريج : الادارة الجامعية حينما يتولاها الاستاذ – يرى البعض انها تاخذه بعيدا عن مهام الاستاذية الرئيسية وهي البحث العلمي – التدريس – وانتم مارستم الادارة الجامعية لسنوات وسنوات، مع ذلك استمر انتاجكم العلمي متواصلا بشكل متزايد.. كيف توفقون بين الاثنين؟ وماهي نصيحتكم في هذا المجال؟

○○ العمل في الجامعة أو في اي مهنة يقتضي الاخلاص له ولا شك ان العمل الاداري ياخذ جهدا ووقتا وطبعا ان الحكمة من اسناد ادارة الجامعة الى جامعيين او اساتذة، هي ان الاداري لاينسى ان تكون الادارة في خدمة العمل لانه في كثير من المواقع تتصور الادارة انها تحكم في العمل وتسيره وتطوعه لخدمتها، وهذا المفهوم لاينبغي ان يسود لا في الجامعة ولا في غير الجامعة.. ان الاصل في الادارة بدءًا من المدير الى اصغر من في الادارة هي ان وظيفتهم خدمة الطلاب تعليما وبحثا وخدمة المجتمع او انهم في خدمة المنتج سواء كان تعليم او خدمة صحية او كان منتج في مصنع وبدون ان اخرج منتجا جيدا واراعيه واهتم به خصوصا اذا كان عناصرًا بشرية، ومن هنا جاء الاهتمام بان القائمين على ادارة الجامعة لابد ان يكونوا جامعيين لكي يدركوا انهم هنا لخدمة العمل الاكاديمي تعليما وبحثا وخدمة للمجتمع وتنمية له، فبعض الناس يتصور انه طالما حصل على المنصب فذلك نهاية المطاف والنقطة الثانية هي ان العمل الاداري هو عمل مؤقت عابر.